

## الحجاج في القرآن واستراتيجيات الإقناع: قصة نوح عليه السلام أنموذجا

ناعوس بن يحيى

المركز الجامعي، غليزان - الجزائر

[derb67@hotmail.fr](mailto:derb67@hotmail.fr)

### المخلص

وعلى العموم فإن البحث يهدف أساسا إلى إبراز أهم استراتيجيات الإقناع في الخطاب الحجاجي في القرآن من خلال محاورات النبي نوح عليه السلام مع قومه، وقد تبعت قصة نوح عليه السلام كما وردت في القرآن آية آية، هو يبلغ رسالة الله تعالى إليهم من خلال ما ذكره أهل التفسير، وخاصة روح المعاني للألوسي، وكتاب الحجاج في القرآن لعبد الله صولة وغيرها من الكتب التي تناولت الحجاج في اللغة، والبلاغة الجديدة لشايبم بيرلمان و تنيكا واستراتيجيات الخطاب .

وهدفنا الأسمى هو تبيان أن الحجاج يعود إلى عمق تاريخ البشرية باستراتيجيات مدروسة في الإقناع لأن هدف التواصل البشري عموما، وليس كما هو في البحوث الغربية ترى بأن اليونان هم أول من عرف الحجاج مع السفسطائيين وأرسطو وغيرهم، في إيصال الرسالة إلى المتلقي من خلال اللغة التي هي وسيلة تواصل عظيمة وحاملة لفكر الإنسان منذ بدأ الإنسان يتكلم لأنه معلّم بالفطرة، هو الإقناع والتأثير فيه من أجل إحداث تغيير أو زيادة في التأييد.

وقد اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي في مقارنة مادة هذا البحث حتى تكون بينة واضحة لدى القارئ، وهو منهج دعت إليه المادة العلمية للبحث، كما سيلاحظه القارئ، وقد تناولت هذه القضية جملة من الدراسات من قبل، رغم قلتها، مثل كتاب الحجاج في القرآن لعبد الله صولة ولكنها لم تركز على الجانب التطبيقي وهذه ميزة هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الحجاج؛ القرآن؛ استراتيجيات الإقناع؛ نوح.

## **Argumentation and Persuasion Strategies in The Qur'an (The Story of Noah PBUH)**

**Naous Benyahia**

Centre universitaire Relizane – Algeria

[derb67@hotmail.fr](mailto:derb67@hotmail.fr)

### **Abstract**

In general, this research aims primarily to highlight the most important persuasion strategies in the discourse of debate in the Qur'an through the conversations of Prophet Noah PBUH with his people. The story of Noah in delivering his preaching is mentioned several times in the Qur'an and its commentaries, especially in the *Ruh al-Ma'any* by Alusi and the *Al-Hijaj fi Al-Qur'an* by Abdullah Shoula. Also, the other purpose is to show that the argumentation practice has existed since earlier time in the human history and argued Western research which states that Greece was the first to introduce arguments with the Sophists, Aristotle and others. Through the descriptive-analytical inductive approach, the article explores the subject of this research to explain clearly. This issue has been dealt with numbers of studies before but they did not focus on the practical side, and this is the main point differing this research to others.

**Key Word:** *Argumentation; Persuasion Strategies; Qur'an; Noah PBUH.*

## المقدمة

مما لا يخفى واقعيًا وعلميًّا على أن القرآن كلام الله المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم يأمره فيه وبه بأن يدعو الناس، وهو «حجاجي في مجمله»<sup>١</sup>، بالحجة البالغة المبينة لصدق نبوته، كما دعا الأنبياء قبله إلى ذلك رغم معاندة قومهم، وفي قصة نوح عليه السلام يظهر ذلك جليًا إذ إنه أطول عمرا دعوة إلى الله.

ذكر أصحاب السير على أن نوح عليه السلام كان تقيا صادقا، أرسله الله ليهدي قومه وينذرهم عذاب الآخرة ولكنهم عصوه وكذبوه، ومع ذلك استمر يدعوهم إلى الدين الحنيف فاتبعه قليل من الناس، واستمر الكفرة في طغيانهم فمنع الله عنهم المطر، ودعاهم نوح أن يؤمنوا حتى يرفع الله عنهم العذاب فأمنوا فرفع الله عنهم العذاب، ولكنهم رجعوا إلى كفرهم، وأخذ يدعوهم تسع مائة وخمسين (٩٥٠) سنة ثم أمره الله ببناء السفينة، وأن يأخذ معه زوجا من كل نوع ثم جاء الطوفان فأغرقهم أجمعين.

فماهي الحجج التي اعتمد عليها نوح عليه السلام في دعوته لإنقاذ قومه من الشرك ثم من عذاب الله تعالى؟ وما هي الحجج التي اعتمد عليها قومه في انكار دعوته والثبات على اعتقادهم؟ وماهي آليات التثبيت والتنفيذ لكلا الفريقين؟

وعلى العموم فإن البحث يهدف أساسا إلى إبراز أهم استراتيجيات الإقناع في الخطاب الحجاجي القرآني من خلال محاورات النبي نوح عليه السلام مع قومه، وقد تتبعت قصة نوح عليه السلام كما وردت في القرآن آية آية، هو يبلغ رسالة الله تعالى إليهم من خلال ما ذكره أهل التفسير، وخاصة روح المعاني للألوسي، وكتاب الحجاج في القرآن لعبد الله صولة وغيرها من الكتب التي تناولت الحجاج في اللغة، والبلاغة الجديدة لشاييم بيرلمان وتتيكا واستراتيجيات الخطاب .

وهدفنا الأسمى هو تبيان أن الحجاج يعود إلى عمق تاريخ البشرية باستراتيجيات مدروسة في الإقناع لأن هدف التواصل البشري عموما، في إيصال الرسالة إلى المتلقي من خلال اللغة التي هي وسيلة تواصل

<sup>١</sup> عبد الله صولة، الحجاج في القرآن (تونس: منشورات كلية الآداب منوبة، ط ٢، ٢٠٠٧)، ص. ٥٤.

عظيمة وحاملة لفكر الإنسان منذ بدأ الإنسان يتكلم لأنه معلّم بالفطرة، هو الإقناع والتأثير فيه من أجل إحداث تغيير أو زيادة في التأييد.

وقد اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي في مقارنة مادة هذا البحث حتى تكون بينة واضحة لدى القارئ، وهو منهج دعت إليه المادة العلمية للبحث، كما سيلاحظه القارئ، وقد تناولت هذه القضية جملة من الدراسات من قبل، رغم قلتها، مثل كتاب الحجاج في القرآن لعبد الله صولة ولكنها لم تركز على الجانب التطبيقي وهذه ميزة هذا البحث.

### مجمل قصة نوح عليه السلام

تظهر حال الناس، بالنسبة لدارس القرآن، حالا عادية إذ كان الناس موحدين قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، قبل ميلاد نوح عليه السلام، هنا تميز خمسة رجال بالصلاح من أجداد قوم نوح، عاشوا زمنا على تلك الحال حتى توفتهم المنية، كانت أسماء الرجال الخمسة هي: "ودّ، سواع، يغوث، يعوق، نسر"<sup>٢</sup>. بعد موتهم صنع الناس لهم تماثيل في مجال الذكرى والتكريم، ومضى الوقت ومات الذين نحتوا التماثيل ومرت الأجيال وتعاقبت الذرية ثم نسجت قصص، وحكايات حول التماثيل تعزو لهذه التماثيل قوة خاصة، وأوهمهم إبليس أنها آلهة تنفع وتضر فعبدت من دون الله تعالى.

<sup>٢</sup> ابن كثير، *قصص الأنبياء*، تحقيق صدقي جميل العطار (بيروت: دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤م)، ص. ٧١.



وقصة نوح عليه السلام ذكرت، بين التفصيل والاختصار، في القرآن الكريم في عشر (١٠) سور وفق الترتيب المصحفي الموضح أسفله:

اسم السورة	مكان النزول	الآيات التي ذكرت فيها قصة نوح عليه السلام
الأعراف	مكية	٦٤-٥٩
يونس	مكية	٧٣-٧١
هود	مكية	٤٩-٤٧
الأنبياء	مكية	٧٧-٧٦
المؤمنون	مكية	٣١-٢٣
الفرقان	مكية	٣٧
الشعراء	مكية	١٢٢-١٠٥
الصفافات	مكية	٨٢-٧٩
القمر	مكية	١٥-٩
نوح	مكية	السورة كاملة

هذه هي جملة السور، سنذكر فيما بعد تفصيل ذكر قصة نوح في القرآن الكريم، التي ذكرت فيها قصة نوح عليه السلام حيث إنها أجملت في تسع سور، بما يقتضيه سياق السورة و موضوعها، إلا إنها فصلت في سورة نوح حيث بينت الحوار بجميع تفاصيله بين نبي الله نوح عليه السلام والملا من قومه الذين أنكروا عليه دعوته، معتمدين على حجج، تستمد حُجَّياتها مما يفعله الآباء، محاولين أن يثنوه عن دعوته، وهو ثابت متمسك بدعوته طوال مراحل الحياة الدعوية الطويلة التي عاشها نوح عليه السلام، وهي أطول مرحلة دعوية، كما بيَّنا، عرفها نبي على الإطلاق .



وأما سورة نوح فقد اشتملت على قصته كاملة وما أجمل في السور المتقدمة فقد ذكرته هذه السورة بتفصيل أكبر، وكيف لا يكون ذكره بهذه الصورة وهو من أولي العزم من الأنبياء بل هو أبو الأنبياء، حتى إننا لنرى أن قصته تسبق قصص جميع الأنبياء في القرآن وفي جميع السور، لما أن لنوح عليه السلام من الشهرة لكونه كآدم ثان للبشر ونجاه ممن نجا من أهل الطوفان ببركته<sup>٣</sup>.

وقد أرسل إلى قومه فدعاهم بدعوة التوحيد التي هي دعوة جميع الأنبياء الذين أرسلهم الله لأقوامهم منذرين ومبشرين قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

### قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم

عرض القرآن الكريم لقصة نوح عليه السلام بما يقتضيه السياق العام للسورة، أو السياق الموضوعي على طريقتين اثنتين :

الطريقة الأولى: وفيها نوع من الإسهاب والتطويل تارة والاختصار تارة أخرى، وفي هذه الآيات التي توضح القصة بجلاء واضح في السور التسع (٩) بحسب ما يقتضيه السياق العام للسورة وموضوعها، إذ إن الحوار الدائر بين نبي الله نوح عليه السلام وقومه تبينه هذه الآيات :

١- سورة الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٤].

<sup>٣</sup> محمود شكري الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني (بيروت: إدارة الطباعة المنيرية، د.ت)، ١٣٢/٢٣.

٢- سورة يونس: ﴿وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَتَجَنَّبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَدَبِّرِينَ (٧٣)﴾ [يونس: ٧١-٧٣].

٣- سورة هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمُلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَنِيَّةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَفَعَيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجَاهِلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْهُمْ أَفَلَا تَدَّكَّرُونَ (٣٠) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُنتَ جِدَالِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلِّي إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ (٣٧) وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٩) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَاوِي



إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) ﴿ [هود: 25-٤٩].

٤- سورة الأنبياء: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصْرَانًا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)﴾ [الأنبياء: ٧٦-٧٧].

٥- سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ (٢٤) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَاَتَّبِعُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَدَّبُونِ (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَمَّاتِ هَمَّاتٍ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧)﴾ [المؤمنون: ٢٣-٣٧].





٦- سورة الفرقان: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا هُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣٧) ﴿[الفرقان: ٣٧].

٧- سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (١١٠) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَنِي وَبَنِيهِمْ فَتَحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٢) ﴿[الشعراء: ١٠٥-١٢٢].



٨- سورة الصافات: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ (٨٢)﴾ [الصافات: ٧٩-٨٢].

٩- سورة القمر: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (١٥)﴾ [القمر: ٩-١٥].

ومما سبق يتضح لنا بجلاء أنه دعاهم إلى عبادة الله وحده ونبذ الشرك وهي قضية جوهرية في الحوار بينه وبين قومه، لأنه ما علم لهم من إله غيره إذ إنه يخاف عليهم عذابا عظيما، وأما رد القوم فإنهم كانوا يرونه في ضلال مما هم فيه.

يجيبهم نوح عليه السلام قائلا: ليس بي ضلالة ولكني رسول رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح وأعلم من الله ما لا تعلمون، أعجبتكم أن جاءكم نذير من رجل منكم فكذبوه وأنجاه الله ومن معه في الفلك، وأغرق الذين كذبوه بسبب عميئناهم عن رؤية الحقيقة مبصرة.

وفي سورة يونس تبين لنا الآيات تحدي نوح لقومه بأن يجمعوا أمرهم، ويفعلوا ما بقدرتهم لأنه توكل على ربه فإن لم تفعلوا فقد أنذرتكم، وما سألتكم من أجر لأن أجرة على الله رب العالمين فأغرقهم الله تعالى، وجعل الذين اتبعوه خلائف من بعدهم.

وفي سورة هود دخل الحوار إلى الأمور أكثر تفصيلا، إذ أخبرهم بأنه رسول ربهم، وأنذرهم عذابا أليما، كان جواب قومه بأنه بشر مثلهم، وأنه اتبعه الأراذل القوم بادي الأمر وما نرى عليكم من فضل وتميز؛ بل نظنكم كاذبين، هذا كلام الملأ الكافرين من قومه.

فرد نوح عليه السلام قائلا: إن كانت هذه النبوة رحمة أعطاني الله إياها وعميت عليكم أنزلتموها وأنتم لها كارهون، أنا لا أسألكم مالا وإنما أجرة على الله، ولأن أطرده الضعفاء المؤمنين وإن أجرهم إلا على الله تعالى، ومن ينصر من الله إن طرتهم ولكنكم قوما تجهلون.

ولا أقول عندي خزائن الله التي تحوي كل الخيرات، ولا أقول إني أعلم الغيب، ولا أقول إني ملك، ولا أقول للذي تحتقرون لأن يؤتيمهم الله خيرا، الله عليم بما في أنفسهم، قال قومه: يا نوح قد أكثرت جدالنا فأتينا بما تعدنا، وهنا نلاحظ أن قومه تحدوه تحديا صارخا والنبى صابر ممتثل أمر الله تعالى.

ونراه يجيبهم بقوله: إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين. أردت أن أنصحكم ولكن عنادكم جرى عليكم غضب ربكم فأرداكم فأصيبتكم من الخاسرين، إذا قلت: إني افتريته فإن كنت افتريته فعلي افترائي وكذبي.





جاء الخطاب من الله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون، واصنع الفلك وهنا زاد عنادهم وزادت سخريتهم له، واستهزاء منه رغم أنه مغرقون مهلكون بكفرهم. قال: سخريتكم سترجع عليكم وسندسخر منكم كما تسخرون.

ولما جاء الموعد حمل فيها من كل زوجين ومن آمن معه وما آمن معه إلا قليل، وهذه السفينة تجري وترسو بأمر الله تعالى، ونادى نوح ابنه ولكن الابن كان من الإمعة التي تبعت الملام المعاند والجاحد. وقال: إن الذي يعصمني من الماء الجبل لعلوه. فقال الأب المشفق عليه: لا عاصم من أمر الله إلا من رحم ففرق بينها الموج فكان من المغرقين المهلكين. وحاول نوح أن يدعو ربه من أجل ابنه، ولكن جاء الخطاب بأنه عمل غير صالح ولا تسألني ما ليس لك به علم فاستغفر ربه. وجاءه الأمر أن اهبط بسلام عليك وعلى أمم ممن معك، وأمم ستمتعهم ثم يمسه من عذاب أليم.

وفي سورة المؤمنون نرى فيها بوضوح دحضا للحجج المعاندين وتبيان عاقبتهم وفي هذا الاقتصار يلائم موضوع السورة وطبيعتها، وأما في سورة القرقان لخصت القصة في آية واحدة متمثلة في الإغراق وهذه هي نهاية الظالمين .

وفي وسورة الشعراء ردُّ على حجج المعاندين واستهزائهم بالضعفاء المؤمنين، وتبيان نهاية الظالمين المعاندين. وفي سورة الصافات بيان بأن الله يجيب دعوة عباده المخلصين الصابرين الثابتين، ويغرق الظالمين المعاندين، ويبقي الصالحين ويجعل ذرية النبي هم الباقين. أما في سورة القمر فبينت، كذلك، استجابة الله لدعاء نبيه وإهلاك الظالمين ليكونوا عبرة لغيرهم .

ونلاحظ أن هذه السور الخمس لخصت القصة تلخيصا إذ جعلتها في آية واحدة كحد أدنى، ورغم أنها قصة نبي أطول عمرا دعويا ولكنها تُقتضب في جملة من الكلمات لتبين أن نهاية المعاندين، وخاتمتهم المظلمة لا تستدعي حديثا مطولا فهم أهون على الله.

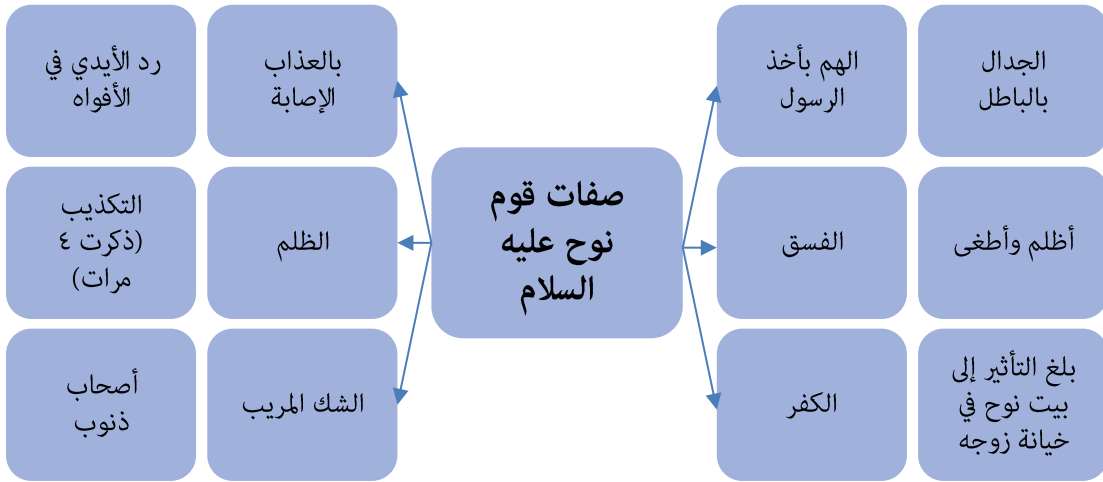
الطريقة الثانية: وفيها تظهر الإشارة الخاطفة للقصة أو للنبي نوح عليه السلام بما يخدم موضوع السورة وفيما يلي عرض للسور التي ذكرت ذلك:



- ١- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].
- ٢- ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠].
- ٣- ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ٨٩﴾ [هود: ٨٩].
- ٤- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩].
- ٥- ﴿ذُرِّيَّتَهُ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].
- ٦- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].
- ٧- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ حَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].
- ٨- ﴿وَإِنْ يَكْفُرْ بِكَ فَكُذِّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ [الحج: ٤٢].
- ٩- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأُوتَادِ﴾ [ص: ١٢].
- ١٠- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].
- ١١- ﴿مِثْلُ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١].
- ١٢- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ [ق: ١٢].
- ١٣- ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الذاريات: ٤٦]. ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ [النجم: ٥٢].

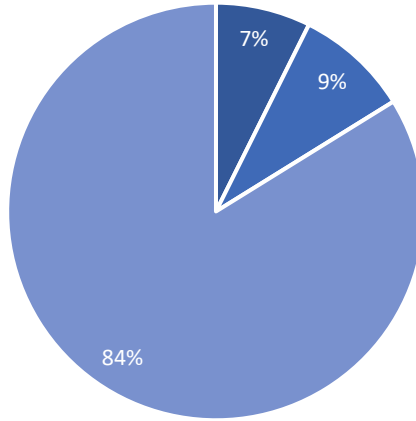
١٤- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠].

نلاحظ أن القرآن قد تحدث عن نوح عليه السلام وقومه في كثير من السور زيادة على التي ذكرناها فوجدناه في اثنتي عشرة (١٢) سورة، السابقة، يتحدث عن نوح وقومه في إشارات خاطفة مرة يتحدث عن نوح ووظيفته الرسالية، وتأديته لها، ووصفه بأنبال الصفات منها الشكر، وموقف قومه من تلك الرسالة بالتكذيب والشك والظلم والريب ومحاولة الاعتداء عليه وعلى الذين اتبعوه مثلما فعلوا مع بقية المرسلين. فأخذهم الله بذنوبهم فأهلكهم، وأنجى عباده المرسلين والذين آمنوا معهم، وذكر الذين يسيرون خلف الملام دون أن يكون لهم رأي في ذلك مثل زوجة نوح التي لم تسلك مسلك زوجها فأهلكها الله مثلما أهلك الكافرين. يمكن لنا في نهاية المطاف أن نجمل أهم صفات قوم نوح عليه السلام كما بينت في هذه السور السابقة:



من خلال هذا المخطط يتضح لنا على أن هؤلاء القوم اتصفوا بصفات جعلتهم ينالوا عذاب الله الأليم الذي جاء نوح عليه السلام ليحذرهم منه، ولكنهم لعنادهم وجدالهم بالباطل وتكذيبهم بما جاء به من حق، وتغطية الحق بالباطل وتكبرهم عن سماع كلام الله تعالى على لسان نبيه الذي أرسله إليهم ليخرجهم من الظلمات إلى نور الحقيقة، نالوا ما استحقوا من عذاب المتمثل في الإغراق والهلاك. ولو حاولنا أن نجمل طريقة عرض القرآن الكريم لقصة نوح عليه السلام، وتبيان النسبة المئوية لذكر القصة في القرآن الكريم فلن نجد أبين من هذا المخطط الذي يوضح لنا كيف عرض القرآن لقصة نوح قومه :

#### ذكر قصة نوح



■ عدد سور القرآن ■ إشارة خاطفة إلى القصة ■ قصة نوح بالتفصيل

تلاوة

هذه الكيفية التي تحدث القرآن الكريم فيها عن قصة نوح وقومه فما هي اللغة التي تكلم بها نوح مع قومه؟ وهل نستطيع أن نستشفها من خلال القرآن الكريم؟

### لغة قوم نوح عليه السلام

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي"<sup>٤</sup>.  
اختلفت الدراسات في تبيان اللغة التي تكلم بها قوم نوح عليه السلام، وقد حاولت أن أبحث في هذا الموضوع انطلاقاً من القرآن الكريم حيث وجدت حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم يذكر فيه الأنبياء العرب ففي صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه في حديثه الطويل في ذكر الأنبياء والمرسلين قال فيه: "وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>٥</sup>.

وهذا الحديث دفعني للتعمق في البحث في الموضوع أكثر، إذ إن اللغة العربية، استناداً على هذا الحديث، عميقة في التاريخ لا يتكلم نبي إلا بلغة قومه قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].  
هذه الآية توحى لنا إحياء واضحاً أن النبي المرسل إلى قومه لا يتكلم إلا بلسانهم حتى يتسنى له أن يبين لهم دعوته، ولا يكون لهم حجة بعد ذلك أمام الله تعالى.

تأسيساً على ما سبق؛ فإن قوم عاد تكلموا باللغة العربية فأرسل الله إليهم هوداً نبياً عربياً يتكلم لغتهم، وقد سكن قوم نبي الله هود عليه السلام في قبيلة تسمى عاد بن عوض<sup>٦</sup> وهي قبيلة عربية سكنت الأحقاف وهي جبال الرمل، وكانت باليمن من عُمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر وهي من العرب العاربة<sup>٧</sup>.

<sup>٤</sup> رواه ابن عساکر عن العلاء بن سالم (٣/٢٠٣/٢).

<sup>٥</sup> ابن كثير، قصص الأنبياء، ص. ٩٤.

<sup>٦</sup> ابن كثير، قصص الأنبياء، ص. ٩٢.

<sup>٧</sup> ابن كثير، قصص الأنبياء، ص. ٩٢.

ويعود نسب النبي هود إلى سام بن نوح عليه السلام<sup>٨</sup>، وهذا يدفعنا إلى القول بأن لغة نوح عليه هي اللغة العربية التي انتقلت إلى ابنه سام ومن ثم إلى قوم عاد حيث قال تعالى على لسان هود لقومه بأنهم ورثة قوم نوح:

﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]

والخلفاء "خلف فلان فلانا إذا كان خليفته يقال خلفه في قومه من باب كتب... وخلفه أيضا إذا جاء بعده"<sup>٩</sup>.

وهذا يظهر لنا أن قوم عاد خلفوا قوم نوح في جميع الأمور بما ذلك اللسان الذي هو وعاء الأمم، ولا يخفى على أن أبناء نوح من بعد الطوفان تفرقوا في الأمصار وهذه الخريطة<sup>١٠</sup> توضح لنا تشتت نسل (سام وحام ويافث):



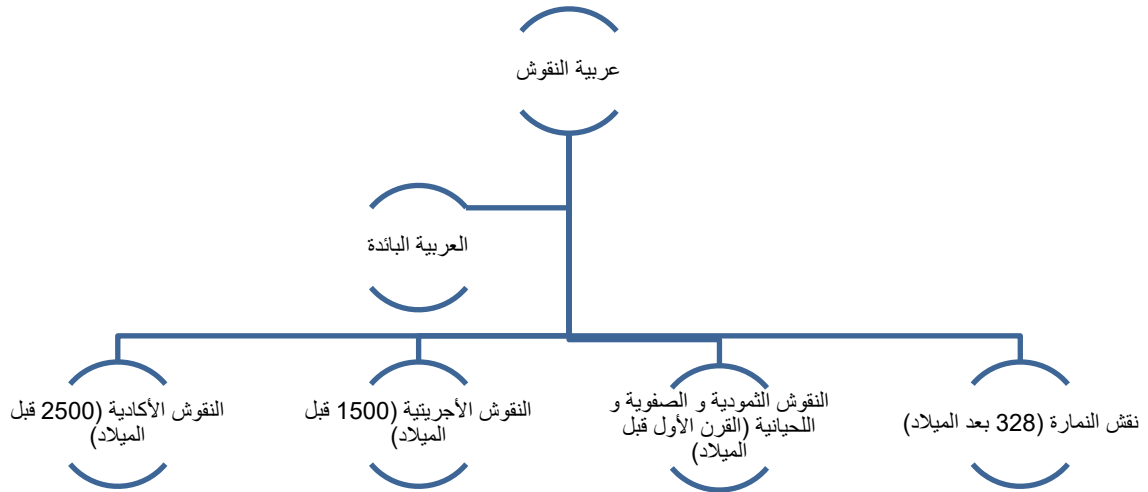
<sup>٨</sup> ابن كثير، قصص الأنبياء، ص. ٩٣.

<sup>٩</sup> محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح (عين مليلة: دار الهدى، ط ٤٠٠، ١٩٩٠م)، ص. ١٢٦.

<sup>١٠</sup> كتاب التاريخية وأطلس الجغرافيا التوراتية - خريطة ١٨٥٤ م.



تبرز لنا هذه الخريطة موطن أبناء سام بن نوح عليه السلام الذي هو في الجزء الجنوبي، وهو موطن اللغة السامية، إذ يكاد "يجمع العلماء على أن الموطن الأول للساميين كان القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية (بلاد الحجاز ونجد واليمن وما إلى ذلك)"<sup>١١</sup>. ومن هذا المهده تفرعت الهجرات السامية إلى العراق والشام وما جاورهما. ويأتي العلماء بالأدلة المقنعة بصدق الرأي"<sup>١٢</sup>. ونحن نعلم بأن "أول العرب كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس، تعلم من أهل الحيرة، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار"<sup>١٣</sup> وهذا يدلنا على التوارث الموجود بين الأجيال حتى في الخط، وما النقوش التي عثر عليها الباحثون إلا خير برهان على ما نقول :



<sup>١١</sup> علي عبد الواحد وافي، *فقه اللغة* (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٤)، ص. ٧٠.

<sup>١٢</sup> أحمد سليمان الياقوت، *ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاته على القرآن الكريم* (قسنطينة: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٣ م)، ص. ٥.

<sup>١٣</sup> عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، *المنزه في علوم اللغة وأنواعها* (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٧)، ص. ٣٤٢.

وعربية النقوش هي العربية البائدة التي يعود تاريخها إلى قوم عاد و ثمود الذين تحدثوا العربية . وما يجدر الإشارة إليه في هذا الباب أن اللغة السامية التي تحدث بها أبناء سام بن نوح عليه السلام تميزت بجملة من الخصائص وأن "جميع ما تتميز به اللغة السامية الأم موجود في اللغة العربية وأن كل لغة سامية أخرى تحوي عنصرا أو عنصرين أو عناصر من الخصائص العامة للغة السامية الأم. أليس من الممكن تأدية هذا المعنى بألفاظ أخرى فنقول: إن العربية بها من الخصائص اللغوية ما ليس موجودا في باقي الساميات، بينما أي خصيصة في لغة سامية أخرى موجودة في اللغة العربية، أي أن اللغة العربية جامعة لكل خصائص الساميات. فما المانع أن تكون هي الأم التي انبثقت عنها باقي الساميات"<sup>١٤</sup>.

ومن هنا يتضح أن اللغة العربية هي اللغة السامية، وأن اللغة السامية مورثة عن قوم نوح ومما يدل على ذلك أن أسماء الآلهة التي عبدها قوم نوح عليه السلام هي أسماء عربية .

وأن سبب عبادتهم لها كما رواه البخاري من حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَدْرُونَ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُونَ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسمّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وانتسخ العلم عُبدت"<sup>١٥</sup>.

ومن هنا أضحي الأمر واضحا على أن لغة قوم نوح هي اللغة العربية بما تتميز به من خصائص تجعلها لغة أمّا فإذا "اتبعنا منهج المقارنة اللغوية اتضح لنا أن اللغات الأم كانت تتميز بالإعراب، فالسنسكريتية، واليونانية واللاتينية كانت لغات معربة، ومن هذه اللغات الأمهات انبثقت لغات أخرى غير معربة"<sup>١٦</sup>.

<sup>١٤</sup> أحمد سليمان الياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم (الإسكندرية: دار العمرفة الجامعية، ١٩٩٤)، ص. ٥٥.

<sup>١٥</sup> ابن كثير، قصص الأنبياء، ص. ٧١.

<sup>١٦</sup> ابن كثير، قصص الأنبياء، ص. ٧١.

وزيادة على ما سبق، تأكيداً وتوضيحاً، فإن خاصية "ظاهرة الإعراب تفوق الهجرة الأكادية قدماً، وأن الأكاديين خرجوا بهذه الظاهرة من مهد الساميين، فالإعراب في العربية والأكادية أقدم من سنة ٢٥٥٠ ق.م.<sup>١٧</sup>.

ختاماً لهذا المبحث نرى كيف جمع القرآن الكريم بين الأنبياء الذين تكلموا اللغة العربية وبين نوح عليه السلام وهي إشارة توحى، والله أعلى وأعلم، على أن لغة نوح وقومه اللغة العربية، في بدايات نموها و تطورها حتى اكتملت في الزمن مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام ويذكر قومه: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بِيَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩].

### أطراف الحوار في قصة نوح عليه السلام

كما هو معلوم فإن الحوار، هو نقاش عن وعي في قضية تهم شخصين وأكثر، في هذه القصة كان بين نوح عليه السلام قومه، إلا أن قومه انقسموا إلى أقسام:

- ١- المؤمنون وهم قلة: ﴿وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].
- ٢- الجاحدون كان يقودهم كبار القوم أو المملأ كما يصطلح عليهم القرآن الكريم، وغالبية الحوار كان معهم.
- ٣- الإمعة: وهم المتبعون للملأ المعاند دونما أن يكون لهم رأي في ذلك، وهذه حال غالبية الناس في جميع العصور.

فما هي القضية الجوهرية التي دار عليها الحوار بين نوح وقومه طيلة مدة الدعوة ؟

<sup>١٧</sup> محمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٨م)، ص. ٢٥.

الدعوى : لا يسمى الخطاب خطابا حجاجيا إلا إذا «كل منطوق به يتوقف وصفه بالخطاب على أن يقترن بقصد مزدوج يتمثل في تحصيل الناطق لقصد الادعاء وتحصيل المنطوق له لقصد الاعتراض، بالإضافة إلى تحصيل الأول لقصد التوجه إلى الثاني، وقصد إفهامه معنى ما»<sup>١٨</sup>.

وفي هذا الإطار، تأكيداً على ما سبق، نجد في الحوار بين سقراط وجورجوس يوضح أساسيات الخطاب والخطيب إذ إنه "كي تجعل من الشخص خطيباً جيداً لامناس من معرفة العدل والظلم، سواء أتصلت المعرفة عنده من قبل أم حصل عليها منك فيما بعد".<sup>١٩</sup>

يبين لنا القرآن الكريم في السور السابقة على أن القضية التي دعا إليها نوح عليه السلام توحيد الله في العبادة ونبذ الشرك الذي عاش به قومه قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالُّةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (61) أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62) أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (63) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرِفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (64)﴾ (الأعراف: ٥٩-٦٤).

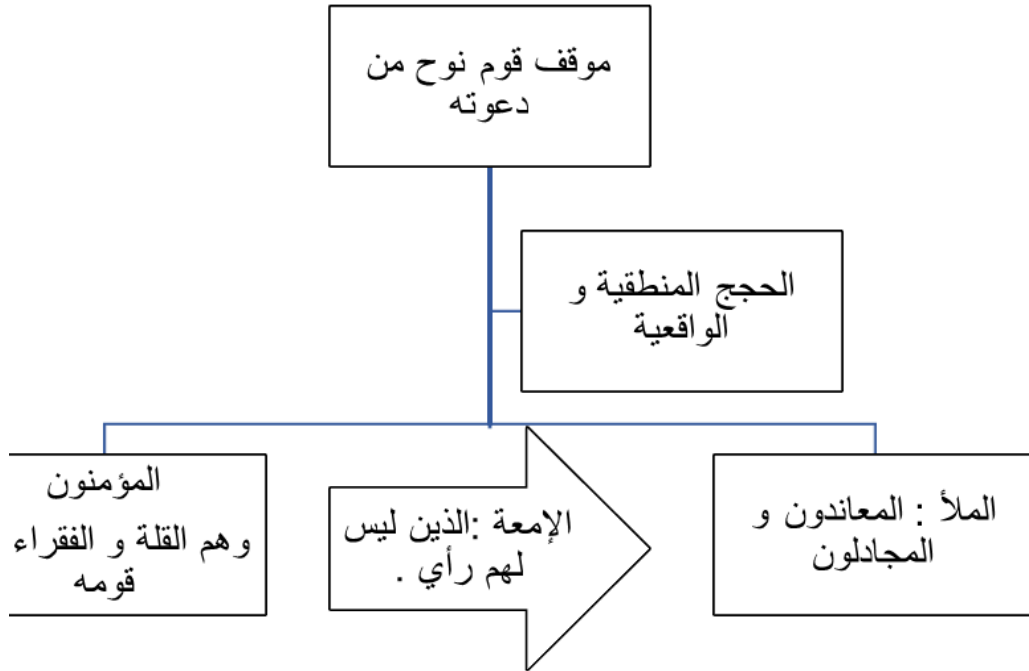
وكل الآيات في جميع السور التي ذكرت فيه قصة نوح عليه السلام تبين على أن دعوى نوح عليه السلام هي التوحيد ونبذ الشرك ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ٥٩).

<sup>١٨</sup> محمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون، ص. ٢٢٦.

<sup>١٩</sup> موشليير، أن ريبول وجاك. "هل من الضروري مواصلة نهجنا في تحليل الخطابات؟"، ترجمة: د. حافظ إسماعيلي علوي & د. امحمد الملاخ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثالث عشر، رجب ١٤٣٥ هـ - مايو ٢٠١٤ م، ص. ٢٢٣.

### دعوى قومه:

الشرك ونبذ التوحيد: إن قوم نوح انقسموا إلى أقسام، كما بينا، فقسم آمن بما جاء به نوح وهم الفقراء والمساكين، وقسم كفر وعاند وهم الأغنياء والكبراء والوجهاء سموا في القرآن بالملأ ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الأعراف: ٦٠)، وقسم هم التبع لهم. ومن هذا المنطلق كانت قصة نوح عليه السلام مجالا للعرض والاعتراض، وتقديم الأدلة على وحدانية الله وإثبات ذلك في كل مراحل الحوار وعبر كل الأحداث والأزمان والأماكن، فكانت السمة البارزة في هذه القصة هي التنفيذ والإثبات. يبين لنا هذا المخطط البياني تلك الدعوى والدعوى المضادة بين نوح عليه السلام وقومه:



## آليات التنفيذ والإثبات:

يرتكز الحجاج في الخطاب القرآن الكريم على جملة من الآليات من أجل تنفيذ وإثبات قيام دعوى ورفضها فماهي تلك الآليات؟

### ١- آليات التنفيذ:

يقوم الحجاج في القرآن الكريم على ثلاثة طرائق هي أن يكون بالحكمة أو بالموعظة أو بالجدال فعلى أي نوع أقام نوح عليه السلام دعوته لقومه؟

إن المتمعن في الآيات التي ذكرت لنا قصة نوح عليه السلام يلاحظ على أنه اعتمد على الطرائق الثلاث بحسب الحال التي يكون عليها المُخاطَب، فقد بينت لنا سورة نوح، مثلا، تلك الطرائق الثلاث وموقف القوم من ذلك ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢) *أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا* (٣) *يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى* *إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* (٤) *قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا* (٥) *فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا* (٦) *وَإِنِّي كَلَّمَا دَعْوَتَهُمْ لَتَتَغَفَّرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا* (٧) *ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا* (٨) *ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا* (٩) *فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* (١٠) *يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* (١١) *وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا* (١٢) *مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا* (١٣) *وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا* (١٤) *أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا* (١٥) *وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا* (١٦) *وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا* (١٧) *ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا* (١٨) *وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا* (١٩) *لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا* *فِجَاجًا* (٢٠) *قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا* (٢١) *وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا* (٢٢) *وَقَالُوا لَا تَنْزِلْ آلِهَتَكُمُ وَلَا تَزِرُ وَدًّا وَلَا سِوَاعًا وَلَا يَكُوتُ وَيَعْبِقُونَ وَنَسَرُوا* (٢٣) *وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا* (٢٤) ﴿ [نوح: ٢-٢٤].

إذا كان نوح عليه السلام اعتمد على الطرائق الثلاث في دعوة قومه كما بينت لنا سورة نوح، فإن هدفه الأسى هو إقناع قومه بدعوته بغرض نجاتهم من عذاب الله تعالى، لأننا إذا تحدثنا عن الحجاج نقصد بذلك عموما محاولة الإقناع بشتى وسائل .

وعلى هذا اتفق منظرو الحجاج، فعندما نتحدث "عن الحجاج عند أرسطو باعتباره فن الإقناع أو مجموعة التقنيات التي تحمل المتلقي على الاقتناع أو الإذعان"<sup>٢٠</sup> ومن هنا كان من الضروري لمة جميع التقنيات "وهو حديث يستدعي ضرورة إيجاد مصطلح آخر هو الجدل الذي عرفه أرسطو بكونه علم الاستدلال المنطقي"<sup>٢١</sup>.

والجدال بالتي أحسن كما بينه القرآن الكريم هو طريقة من طرائق الحجاج التي تتطلب نوعا من الحجاج المنطقي "والجدل عند أفلاطون منتهى العلم وكمال المعرفة وهو الوسيلة لبلوغ الحقيقة"<sup>٢٢</sup>، التي يراها المرسل أنها تصلح حال المخاطبين.

والمعاند يستند دائما في حجاجه على دحض حجج الطرف الآخر لأن السمة المميزة للحجاج أن "كل حجة تفترض حجة مضادة ولا وجود البتة لحجاج دون حجج مضاد باعتبار أن الحقيقة متى تنزلت في إطار العلاقات الإنسانية والاجتماعية صعب إدراكها وأضححت محل نزاع وجدال في غياب الحجج المادية والموضوعية"<sup>٢٣</sup>.

رغم أن البلاغة الجديدة حاولت أن تفرق بين الحجاج وبين غيره، ولذلك فإن مفهومه عند برلمان وتيتيكا "يستند إلى صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية أخرى بكيفية تجعل الحجاج شيئا ثالثا لا هو بالجدل ولا هو بالخطابة لنقل معهما أنه خطابة جديدة"<sup>٢٤</sup>

لهذا إذا نظرنا في سر نجاح "البلاغة" الحالي يرجع إلى الاهتمام بوسائل الإقناع التي فرضتها طبيعة المجتمع الإعلامي المعاصر فقد ارتبطت البلاغة المعاصرة، وخصوصا منها نظرية الحجاج وما تعلق بها من بحوث بمختلف الميادين الإعلامية المعاصرة سواء منها السمعي أو البصري أو هما معا، لذا أصبح مفهوم

<sup>٢٠</sup> سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيته واساليبه (الاردن: عالم الكتب، ٢٠٠١)، ص. ١٧-١٨.

<sup>٢١</sup> سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيته واساليبه، ص. ١٧-١٨.

<sup>٢٢</sup> عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة (بيروت: منشورات ضفاف، ٢٠١٣)، ص. ٤٤.

<sup>٢٣</sup> سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيته واساليبه، ص. ٢٤.

<sup>٢٤</sup> عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، بيروت: دار الفرابي، ٢٠٠٧)، ص. ٢٧.

الإقناع مطلباً أساسياً في كل عملية فكرية، سواء كانت هذه العملية فكرة أو مقالة أو حركة، وهذا ما جعل هذه النظرية في استتراء متواصل<sup>٢٥</sup>.

فإذا عدنا إلى الحجج عند نوح عليه السلام وهو يحاول أن يقنع قومه بكل الطرائق ألفيناه يعتمد كل الوسائل الإقناعية المتاحة في زمنه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِينَالُوا وَمَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦-٥].

فنالاحظ أن نوحا عليه السلام اعتمد كل التقنيات التي يراها تقنع قومه، رغم عنادهم، لهذا فأبي "إقناع يتوسل حتماً بالآيات متعددة يتفاوت إدراكها والوعي بها من قبل المعنيين بل يستعين المتكلم بعناصر يعلمها المخاطبون، لكنهم لا يتوقعون حضورها في مقامهم الخاص"<sup>٢٦</sup>. وهذا ما جعل نوحا عليه السلام يغري قومه بالنعم التي تنزل عليهم أنهم استقاموا.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠)﴾ [نوح: ٩-٢٠].

فكل هذه الآيات توضح بجلاء الحجج التي اعتمدها نوح عليه السلام من أجل إقناع قومه للعدول عن شركهم الذي كما رأينا أمر طارئ، لأن من عادة المرسل يراعي "في خطابه الحجج أمرين هما الهدف الذي يريد تحقيقه والحجج التي يمكن أن يعارضه بها المرسل إليه، والتي يضعها في الحسبان في أثناء بناء خطابه، ويمحصها عند استحضار حججه فيفندها ويعارضها بالحجج التي يتوقعها من المرسل إليه، فلا يتمسك بها

<sup>٢٥</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، *استراتيجيات الخطاب* (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤)، ص. ٤٥٩.

<sup>٢٦</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، *استراتيجيات الخطاب*، ص. ٤٧٠.





إلا إذا أدرك أنها تؤول بخطابه إلى القبول والتسليم<sup>٢٧</sup>، ويفهم من هذا أنّ المرسل يراعي الإقناع ويراعي الحجج المفترضة التي يمكن أن يعارضها المرسل إليه في خطابه الحجاجي.

وهذا ما لمسناه عند نوح عليه السلام في كثير من الآيات التي قصت علينا نبي الله مع قومه، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ [الشعراء: ١٠٩-١١٠] فهو لا يسألهم أجرا وقد علم بأن قومه يؤمنون بالماديات.

فهو ليثبت دعوته استند على قدرة الاستدلال عنده بأن جرّد من نفسه "ذاتاً ثانية ينزلها منزلة المعارض على دعواه، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدلته أيضاً على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به مستبقاً استفساراته واعتراضاته ومستحضراً مختلف الأجوبة عليها ومستكشفاً إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها"<sup>٢٨</sup>.

وقد سمّى "ايميرن وجروتندورست" هذا النوع من الحجاج التقويبي الذي يراجع المرسل فيه نفسه قبل إرسال الخطاب، «بالحوار الضمني، وغرضه درء الشك المتوقع من المرسل إليه ويتجسد هذا في بعض أصناف الخطابات التي يستثمر فيها المرسل مقولات تدل على أنّ المرسل يستبق اعتراضات المرسل إليه، ثم يدحضها بحجج في الخطاب نفسه، وبنائه على سعة معرفته بالموضوع»<sup>٢٩</sup>.

والآيات توضح ذلك بوضوح، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)﴾ [الأعراف: ٦٣-٦٤].

ويُفهم من ذلك أنّ "المنطوق به لا يكون خطاباً حقا حتى يحصل من الناطق صريح الاعتقاد لما يقوله من نفسه، وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، ذلك لأنّ الخلو عن الاعتقاد يجعل الناطق إمّا ناقلاً لقول غيره، فلا يلزمه اعتقاده وإمّا كاذبا في قوله، فيكون عابثاً باعتقاد غيره ولأنّ الخلو عن

<sup>٢٧</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، *استراتيجيات الخطاب*، ص. ٤٧٣.

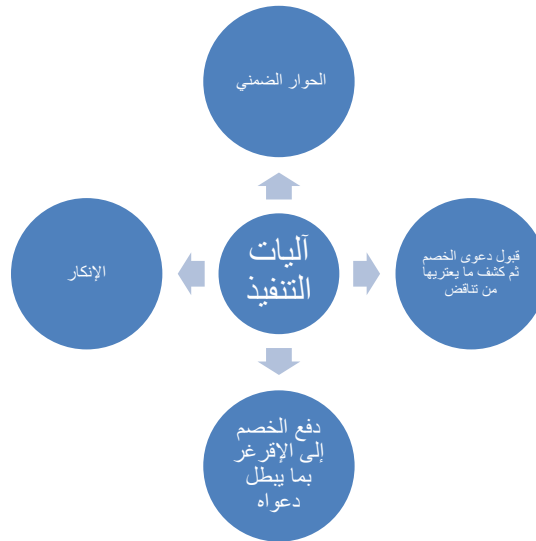
<sup>٢٨</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، *استراتيجيات الخطاب*، ص. ٤٧٣.

<sup>٢٩</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، *استراتيجيات الخطاب*، ص. ٤٧٤.

الاستعداد للتدليل، يجعل الناطق إما متحكما بقوله، فلا يتوسل إلا بالسلطان وإما مؤمناً بقول غيره، فلا يحتاج إلى برهان"<sup>٣٠</sup>. أي أن الخطاب لا يكون خطاباً حقاً إلا إذا كان للناطق اعتقاد صريح يجعله مستعداً لإقامة الدليل.

يقتضي قصد الاعتراض «أن المنطوق به لا يكون خطاباً حقاً، حتى يكون للمنطوق له حق مطالبية الناطق بالدليل على ما يدعيه، ذلك لأن فقد المنطوق له لهذا الحق يجعله، إما دائم التسليم بما يدعيه الناطق، فلا سبيل إلى تمحيص دعاويه، وإما عديم المشاركة في مدار الكلام.<sup>٣١</sup>

"ففي الأولى نعتبر الخطاب بمثابة متوالية من الجمل أو الملفوظات، وأن الإشكال يكمن ببساطة في بيان تأويل متوالية تلك الجمل المتتابعة أو الملفوظات. وفي الثانية نعتبر أن الخطاب لا يختزل في متوالية من الجمل والملفوظات"<sup>٣٢</sup>



<sup>٣٠</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، *استراتيجيات الخطاب*، ص. ٤٧٤.

<sup>٣١</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، *استراتيجيات الخطاب*، ص. ٤٧٤.

<sup>٣٢</sup> موشليير، أن ريبول وجاك. "هل من الضروري مواصلة نهجنا في تحليل الخطابات؟"، ص. ١٩٩.

## ٢- آليات الإثبات:

المقدمة الكبرى: الإله الذي يستحق العبادة هو الإله الواحد الذي يجب دعوة معبوديه.  
المقدمة الصغرى: ربي هو الإله الواحد الذي يسمع دعوتي وعليه توكلني فأجمعوا أمركم النتيجة: ربي هو ربكم ورب العالمين المستحق للعبادة وحده.

### وجوه المغالطة في احتجاج المشركين:

١- تحويل النقاش إلى قضايا بعيدة عن الجوهر عن طريق مغالطة (الرنجة الحمراء) ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة هود: ٣٢].  
٢- إهانة أتباعه ووصفهم بأبخس الأوصاف (أراذل) ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُجَادِلُواكَ فِي آيَاتِنَا وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [سورة هود: ٢٧].

٣- افتراض نتائج النقاش مسبقًا وهو نوع من الاستدلال الدائري يدعى أيضًا (البدء من السؤال) . . ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَمَّاتَ هَمَّاتٍ لِمَا تُوَعَّدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ٣٣-٣٧].

٤- وجود قفزات في الاستدلال المنطقي. . . ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَمَّاتَ هَمَّاتٍ لِمَا تُوَعَّدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ٣٣-٣٧].

٥- تحديد سبب وتأثير وهي . . . ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَبَرِّئُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ [سورة المؤمنون: ٢٥].



- ٦- التأكيد على أن الجميع يوافقون على أحد المواضيع بشكل مسبق. وهذه حجة الكافرين والمعاندين في كل مكان وزمان.
- ٧- خلق معضلة وهمية (مغالطة) يتم فيها تبسيط الموضوع بشكل كبير ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَزْدَلُونَ﴾ (١١١).
- ٨- استخدام الحقائق بشكل انتقائي. ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيمَانِ الْآخِرَةِ وَأُتِرْنَا هُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَمَّاتٌ هَمَّاتٌ لِمَا تُوَعَّدُونَ (٣٦) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ٣٣-٣٧].
- ٩- إجراء مقارنات كاذبة أو مضللة (مثل التكافؤ الخاطئ والتشبيه الخاطئ) ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ (٢٤) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ [سورة المؤمنون: ٢٤-٢٥].
- ١٠- التعميم السريع غير المدروس (مغالطة التعميم المتسرع). ﴿أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾ (٣٥) هَمَّاتٌ هَمَّاتٌ لِمَا تُوَعَّدُونَ (٣٦) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ٣٥-٣٧].

#### حجاجية الأسلوب:

- يلاحظ على أن الأسلوب المعتمد في جميع الخطابات في الحوار الدائر بين نوح عليه السلام وقومه اعتمد على جملة من الخصائص جعلته يمتاز بها.
- ١- الاستفهام: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٣-٦٤] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَنِيهِ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْذَارٌ مِثْلُهَا وَاتَّبَعَتْ لَهَا لَآئِنَ لَبَّاسَةٍ﴾ [هود: ٢٨]

٢- التقرير: وهو «حملك المخاطب على الإقرار بأمر استقر عنده»<sup>٣٣</sup> بالحجة الميينة لحقيقة الدعوى

المثبتة بالبيان القاطع للشك، وتبيان على أن دعوى الخصم المحاجج أصبحت "مكشوفة ومثبتة

التبني يسهل على المناظر إبراز تفاهتها وكشف تناقضها»<sup>٣٤</sup>.

وهذا ما نلاحظه في الحوار الدائر بين نوح عليه السلام وقومه قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ

أَرَدْتُمْ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤]. فمن خلال هذه الآيات

وغيرها تأكد لنوح عليه السلام أن قومه أصيب بالصمم فهم لا يستطيعون ولا يردون أن يسمعوا لكلامه ولا

لنصحه فقط حكم الله عليه بالغواية بسبب ذلك.

وهنا التقرير النهائي لهذه المحاجة بين الفريقين بقوله تعالى: ﴿وَقَوْمٌ نُوْحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ

وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧].

٣- التوريط: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ

وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢)

أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ

فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٩-

٦٤].

٤- اللوم والتوبيخ: ﴿وَائْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ

اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا

تُنظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

<sup>٣٣</sup> الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: درا الفكر، ١٩٨٠)،

ج ٣٣١/٢.

<sup>٣٤</sup> عادل عبد اللطيف، "خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي"، أطروحة مرقونة بكلية الآداب، مراكش.

المُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَتَنْجِيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَدْرِبِينَ ﴿ [يونس: ٧١-٧٣].

٥- التوكيد: أسلوب من الأساليب التي نلجأ إليها من أجل تقوية الحجج، فقد جاء في الطراز "اعلم أن التأكيد تمكين الشيء من النفس وتقوية أمره. وفائدته إزالة الشكوك وإمالة السمات لما أنت بصدده، وهو دقيق المآخذ كثير الفوائد"<sup>٣٥</sup>. ونفهم من هذا أن التوكيد فوائده كثيرة فهو يزيل الشك والإبهام والأمور المشتبهة التي نحن بصدد البحث عنها، وقد قسم السكاكي التوكيد إلى: "الخبر الابتدائي، الخبر الطلبي، والخبر الإنكاري"<sup>٣٦</sup>، وهذا يعني أنه "لا يستعمل المرسل في الخبر الابتدائي أي نوع من أنواع التوكيد، لأن المرسل إليه خالي الذهن من أي حكم سابق، إذ يكفي لذلك ما يعمله من أن المرسل واثق من صدق خطابه، أما الخبر الطلبي فيلقي الخبر إلى المرسل إليه مؤكدا بأداة واحدة. وفي الأخير الإنكاري يستعمل أكثر من أداة توكيد، ليثبت صدقه حين يتصور أن المرسل إليه قد يكون منكرا"<sup>٣٧</sup>، نحن نعلم بأن التوكيد هو «معنى يستفاد من صيغ وأساليب لغوية معينة معروفة في العربية، وغرض تواصله باستخدامه المتكلم لتثبيت الشيء في نفس المخاطب»<sup>٣٨</sup>.

يقسم العلماء التوكيد إلى ثلاثة أساليب ابتدائي وطلبي وإنكاري وكل من هذه الأساليب يستخدم في سياق معين ومحدد في أي الأساليب التوكيدية اعتمد نبي الله نوح في محاجة قومه؟ من خلال تتبعنا للآيات نلاحظ أن نوح عليه السلام اعتمد على الأسلوبين الطلبي والإنكاري لأن قومه كانوا معاندين يرون الآيات وينكرونها بل زاد فوق ذلك استهزاء وسخرية و من أمثلة ذلك:

<sup>٣٥</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (بيروت: دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، ١٩٩٧)، ج. ١، ص. ٣٦٦.

<sup>٣٦</sup> السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور (بيروت: دار الكتب العلمية للنشر، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ص. ١٧٠.

<sup>٣٧</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص. ٥٢٤.

<sup>٣٨</sup> صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني (بيروت: درا الطليعة، ٢٠٠٥)، ص. ٢٠٦.

﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَنذِرِينَ﴾ [يونس: ٧١-٧٣].

نلاحظ في هذه الآيات اعتماد الشرط (إن كان... فعلى الله توكلت) وأسلوب القصر (إن أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) ولم يخرج نوح عليه السلام في تعبيراته عن القاعدة التي يستند عليها وهي قاعدة التوحيد. ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِيَّيَ أَحَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلِرُكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْهُمْ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٧-٣٠].

ونلاحظ أن قومه اعتمدوا أسلوب التوكيد الإنكاري باعتمادهم على بعض أدوات التوكيد مثل القصر ولكنهم يخرجون أيضا عن القاعدة التي يستند عليها المتمثل في الشرك والإيمان بالماديات وتغليبهم على القيم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٠-٤٣].

وهذه الآيات تعطينا نتيجة الجدل وأن الغلبة لأهل القيم سواء أكان المحاججين من المعاندين أو الإمعة المتمثل ههنا في ابن نوح عليه السلام.

## الخاتمة

خُصّ البحث بعد التطواف العلمي في حوارات النبي نوح عليه السلام مع قومه في إبلاغ رسالة ربه إلى أنه اعتمد هذه الاستراتيجيات:

- ١- استراتيجية تغيير الزمن في الخطاب (الليل، النهار...). التأثير النفسي للزمن.
- ٢- استراتيجية تغيير أسلوب الخطاب (السر، جهرا). التأثير الإدراكي لنبرة الصوت.
- ٣- استراتيجية تغيير المتلقي أو الهدف (فرادى، جماعة). الثقافة الاجتماعية وتأثيراتها.
- ٤- استراتيجية تغيير المكان (السوق، البيوت، النوادي...). الثقافة الاجتماعية وتأثيراتها.
- ٥- استراتيجية الإغراء ونزول الخيرات (المال، البنون، الجنات، الأنهار...). تأثير المادة في سلوك الفرد.
- ٦- أسلوب الترغيب والترهيب.

رغم ذلك ما آمن معه إلا قليل، وذلك يهدي إلى أن طباع الناس مبنية على العناد والنكور والجحود وليس شرطا أن يقتنع الجميع.

توصيات:

من أهم توصيات البحث:

- ١- مواصلة البحث في الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم.
- ٢- تتبع حوارات القرآن الكريم.





## المصادر والمراجع

- الإبراهيمي. أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. بيروت: دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، ط ١، ج ١، ١٩٩٧.
- ابن كثير. قصص الأنبياء. تحقيق صدقي جميل العطار. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.
- بدر الدين، الزركشي. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط ٣، ج ٢، ١٩٨٠م.
- حجازي، محمود. اللغة العربية عبر القرون. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٨م.
- الدريدي، سامية. الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه. الأردن: عالم الكتب الحديث، ط ٢، ٢٠٠١م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح. عين مليلة: دار الهدى، ط ٤، ١٩٩٠م.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي. مفتاح العلوم. تح: نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية للنشر، ط ٢، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. المنزه في علوم اللغة وأنواعها. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٧م.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م.
- صولة، عبد الله. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. بيروت: دار الفرابي، ط ١، ٢٠٠٧م.
- عادل، عبد اللطيف. بلاغة الإقناع في المناظرة. بيروت: منشورات ضفاف، ٢٠١٣.
- عبد اللطيف، عادل. خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي. مراكش: أطروحة مرقونة بكلية الآداب.

كتاب التاريخية وأطلس الجغرافيا التوراتية - خريطة ١٨٥٤ م.  
مسعود، صحراوي. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني. بيروت: درا الطليعة، ط ١، ٢٠٠٥ م.  
موشلير، آن ريبول وجاك. "هل من الضروري مواصلة نهجنا في تحليل الخطابات؟". ترجمة: د. حافظ إسماعيلي علوي & د. امحمد الملاخ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثالث عشر، رجب ١٤٣٥ هـ - مايو ٢٠١٤ م.  
وافي، علي عبد الواحد. فقه اللغة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٤ م.  
الياقوت، أحمد سليمان. ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاته على القرآن الكريم. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٣ م.

